يحيى أبو عرندس

خيوط الموت

رواية

طبعة أولى إبريل 2019

بطاقة الكتاب



مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات

الدورة الرابعة – إبريل 2019

الكتاب الفائز بالمركز الأول م

فرع الــروايـــة

عنوان المؤلف	خيوط الموت
المؤلف	يحيى أبو عرندس
التصنيف	رواية
رقم الإيداع القانونى	7883 - 2019
رقم الإصدار الداخلى	376 الطبعة الأولى إبريل 2019
عدد الصفحات	94 صفحة



رخصة مزاولة مهنة: 58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف: 01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس: 020554372901

nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي: ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304



إهداء

إلى صديقي الراحل ... الشاعر الكبير ناصية الجنوبي / محمود مغربي

وإلى :

من يعرف معنى الصداقة في زمن أصبحت الصداقة عملة نادرة .

1 – ما أشبه الليلة بالبارحة

تلبدت السماء بالغيوم ، وتكاثرت السحب ،بدأت حبات المطر تتساقط وأصوات البرق تداعب الأرض بطلقات نارية ،بعدها انـهمرت الأمطار بشدة.

حاولت أندس بعيداً ،أبحث لي عن أيه مواصلة أختبأ بها ، بصعوبة استوقفت تاكسي ارتميت بداخله، تحرك يصارع الأرض المبتلة ، جلست أراقب حبات المطر وهي ترتطم بالزجاج وتكاثرت عليه وحجبت الرؤيا عني.

****

بصعوبة وصلت إلى البدرشين مسقط رأسي ومرتع طفولتي ، عدوت بخطوات مسرعة تجاه منزلي ، لمحت والدي واقفاً ،ما إن رآني ارتسمت علامات الرضا على وجهه واطمئن لحضوري ،كأنه يقول لي :



ما أشبه الليلة بالبارحة

كنت غارقاً في مناجاتي وتسبيحي بحجرتي وشعرت بحركات غريبة تصدر من حجرة نوم والدتك ، تركت محرابي وذهبت استطلع الأمر ،أدرت موصد الباب رأيتها تستند على حافة السرير،تتأوه بشدة ،أدركت أن آلام الوضع قد اشتد عليها ،أيقظت شقيقاتك البنات الثلاثة اندفعوا نحوها والوقوف بجانبها ، تكمكمت داخل عباءتي السوداء أدس جسدي الهزيل فيها من شدة البرد وحبات المطر التي انهمرت بكثرة ، قمت بإحضار الداية التي باشرت عملها المألوف والمعتاد عليها، أغلقت خلفي باب حجرتي أدرت حبات مسبحتي وتناولت المصحف الشريف ،وقع بصري عند قوله تعالى:

(يازكريا إنا نبشرك بغلام)

رددتها بذهني كثيراً، تمتمت بكلمات في نفسي أتضرع إلى الله أن يرزقني بولد.

لم يكن في استطاعتي الإنتظار وأنا أسمع صرخات والدتك التي تدوي في سكون الليل ربما توقظ الجيران من نومهم ،توسطت ردهة الدار ،ركزت ببصري عالياً ناحية السلم ،هممت أن أصعد إلى الدور الثاني لعلي أقدم المعونة وأنا أقول لنفسي:

لامكان لي هناك ،، هذا عمل النسوة .

سكتت والدتك عن صراخها ،تبدل بدلا منها صراخك وأنت في المهد صبيا ، لم أنتظر ، صعدت درجات السلم بسرعة البرق ،استقبلتني الداية خارج الحجرة ضاحكة مستبشرة :

المرة ديه يامولانا استاهل الحلاوة أكثر

فهمت ماتقصده هذه العجوز الشمطاء،وأفصح وجهها عما أرادت أن تقوله لي ، وأزاحت لي الباب

تمتمت بكلمات الشكر والعرفان لله تعالى، لمحت السرور على وجوه اخواتك وهن يسألن عن اسمك

فقلت في نفسي :

هذا الطفل ولد في ضوء الفجر وجاء بعد طول صبري وحبي للولد ، خرجت كلماتي بحروف اسمك :

صبري ... نعم هو صبري

مِلت على أذنك اليمنى وأذنت فيها ، وأقمت الصلاة في أذنك اليسرى .

أضفت على جنبات البيت السرور والمرح ،أرقبك وأنت تحبو وتمشي حتى أكملت عامك السادس وأدخلتك المدرسة وها أنت الآن في الجامعة.

2 – أيام الغرام الجميلة

فجأة وبلا مقدمات جاءت كلمات صديقي أحمد وزميل الدراسة والمدرج الخاص بكلية الآداب ،،قسم التاريخ والذي لم نفترق إلا سويعات النوم من خلال بضعة أمتار تبعد عن سرير نومي فكنا نقيم بحجرة واحدة في المدينة السكنية لجامعة القاهرة .

– أنت أصلح واحد يكون رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة .

كلماته أحدثت نوع من المفاجأة عندي ،انتابتني بعدها حالة من الدهشة ظهرت على ملامح وجهي

– أنا خلاص عملت الترتيبات اللازمة والكل أجمع على ترشيحك ولايبقى إلا موافقتك

– ياصديقي ،،أنا لايشغلني إلا المذاكرة والمضي في دراستي الجامعية .

لقد فعلها صديقي وأعد لها العدة واستطاع بخبرتة وحنكتة أن يلفت نظر الجميع من طلاب الجامعة نحوي وينحازوا لي ويقدموا كل التأييد والوقوف بجانبي ،وبمهارته الفائقة قاد حملة الدعاية الإنتخابية واستمال عدد كثير من طلبة الكليات الأخرى .

****

لم يكن في مقدوري أن أقاوم نظرات هند اللاذعة إلي وهي ترمقني بها بين لحظة وأخرى وتحاول أن تخفيها عن عيون زملاء المدرج ،لكن عيونها أفصحت لي مايكمن في أحشاء قلبها ،أطلقت سهامة لتستقر في قلبي .

تركت العنان لعيناي تطوقها ،حاولت مراراً وتكراراً أن أحدثها ،كلما اقتربت نحوها ينعقد لساني ولايستطيع أن ينطق بحرف واحد ، انسحب بهدوء دون أن تشعر بي ، فليست لي تجربة

في الحب ،لمحت حماسها الزائد وتشجيعها لي في معركتي الإنتخابية ووقوفها معي وقيادتها للحملة النسائية بنفسها .
استجمعت كل ماأوتيت من قوة ،كان لابد لي أن أكلمها ،اتاحت لي فرصة الإنتخابات الحديث معها :
- أشكر وقوفك معي
غمرتها فرحة عارمة ،رأيت الابتسامة على شفتيها :
لم أفعل إلا الواجب
زادت دقات قلبي رنينا ،قد يكون ارتفع على صوت ساعة جامعة القاهرة ، تراقص قلبها فرحا ،كتمت أنفاسها بداخلها تصرخ بأعلى صوتها من داخلها:
حبيب عمري ..أمل حياتي ،أقولها لكل حبيبين ،أحكيها للمدرج الذي كان وليد حبنا ،أقصه لسور الجامعة الشاهد على وقوفنا واستنادنا عليه نشيد عش حلمنا الصغير.
- هند يامليكتي الصغيرة.. نعم أحببتك من أعماق قلبي ... سحرتني عيناها الزرقاوين .

أفتش عنك كل صباح تطمئن نفسي لوجودك معي ،ينقبض قلبي إذا لم أرك يوما

أتذكر كوكب الشرق ،،أدندن مع نفسي:

ان مر يوم من غير رؤياك ماينحسبش من عمري

أنتِ عمري كله ياحبيبتي

نعم انشغلت بها طيلة الأيام الماضية ،أصبحت شغلي الشاغل هند .. تناسيت ونستني انتخابات إتحاد الطلبة ،انتبهت على صوت صديقي الوفي أحمد الذي بحث عني في كل مكان وأخيراً اهتدى على طريقي ،جاء ليخبرني بالنتيجة التي ظهرت ،

نظرت إليه بشغف :

وبسخريته المعتاده فهم ما أقصده بتلك النظرة الحائرة ،ألقى بكفيه على كتفي ،هز رأسه :

يا ابني أنت وراك رجاله

إنطلقت كلماتي :

يعني نجحت

انحنى برأسه إلى أسفل وقال لي مازحاً:

تفضل جناب رئيس إتحاد طلاب جامعة القاهرة الكل في انتظارك لتقديم التهنئة لك .

****

فضلت العودة إلى منزلي ترتاح نفسي قليلاً وآخذ لنفسي قسطا من الراحة بعدما هدتني الأيام الماضية من تعب الإنتخابات ،بطبيعة الحال نقلت أخباري لوالدي فهو بالنسبة لي صديق كما عودني ودائما يتشاور معي في أمور البيت وقلما يجد في رأي الصواب ،ولايمكن لي أن أنسى هند محبوبتي وأميرة قلبي المتربعة على عرشه ،ساكنة فؤادي وبلورة شعوري واحساسي وملاذ تفكيري .

لم تفارق الابتسامة وجه أبي وأنا أقول له :

ابنك ياحاج رئيس إتحاد طلاب جامعة القاهرة

لمست في وجهه الرضا والقبول وتضرعه ودعاءه المستمر والداعم لي دائماً.

في منزلي أنعم بجو الأسرة المصرية الصغيرة ودفء وحنان والدتي التي لم تطق فراقي وبُعدي عنها وتعوضه عندما أحضر إليها ،تضمني لصدرها الحنون لايهدأ لها بال إلا وهي تخرج لي كل ما لذ وطاب وتطعمني بيدها ،يخلق نوعا من الشجارالمعتاد بيني وبين شقيقتي رقية التي تكبرني بأربعة أعوام ،فدائما تلقي والدتي عليها اللوم والعتاب وفي نهاية الأمر تخضع لإرادة والدتي ، وترد علي بإبتسامة مصطنعة منها :

يابخت اللي كان النقيب خاله

أجيبها وأنا أزيد من غيظها وأطوق والدتي بذراعي:

أنا أقرب واحد في البيت لقلب أمي الحبيبة .

ووجهك ياهند لم يفارقني ،أنتِ معي في كل أركان البيت .. هند ... هند .

استيقظت في هذا اليوم على رنين التليفون الذي لم ينقطع ،ويأتيني صوت شقيقتي رقية وهي تجيبه:

هو لسه نايم ولما يصحى نخبره

تكرر هذا المشهد أكثر من مره ولما غلبت شقيقتي على أمرها أحضرت لي التليفون وناولتني السماعة :

– صديقك أحمد طلبك ثلاث مرات

جاءني صوته الجهوري من على الجانب الآحر:

ارتدي ملابسك واحضر بسرعة هناك أمور يجب أن تعرفها وقبل أن أجيبه ...أغلق السماعة في وجهي.

....

لم أجد

فائدة إلا الذهاب إلى الكلية ،وجدت أحمد حائراً ثائراً..ما إن رآني ألقى علي بسيلٍ من الشتائم والسباب :

- يا ابني هناك ندوة تناقش عمل المرأة يتزعمها مجدي حسن .. ويجب عليك أن تكون موجود بصفتك رئيس إتحاد الطلبة

- آه ..مجدي حسن ... ذلك الطالب الأبله .هو له آراء مختلفة ومتزمت إلى حد كبير .. نعم أتذكره جيدا وكثيرا ما تحرش بالطالبات وأمرهن بارتداء النقاب أو ترك التعليم ،وأكثر من مرة تعرض للفصل من الكلية .

وجدته في داخل القاعة ثائراً وينادي بأعلى صوته :

تعليم المرأة حرام وكل من أشار به كافر وملحد لأنه يعمل على الإختلاط بين الرجال والنساء وملعونين أينما ثقفوا ..أنا ضد كل من ينادي بذلك ..المرأة مكانها البيت ومراعاة زوجها وأولادها ...

ارتفع ضجيج الطلبة وطالبوه بالكف عن هذه الأفكار الغريبة والخرافات والجهل الذي يعيش فيه ... وجاء الدور على الطالب سامي عوض المعروف عنه بشخصيته القوية

وثقافته العالية وينتمي إلى جماعة مصر الحضارة التي تتبع الجامعة ،أمسك بسماعة الميكروفون وإلتفت إلى مجدي :
قديما كانت تخرج المرأة للجهاد تساعد في تضميد جرحى الفرسان الذين أصيبوا في الغزوات بل أيد رسولنا هذا وأبقاها في ميدان المعركة مع الرجال ،من داخلي كنت أحس مايحدث أمامي في هذه الندوة أنني أمام مناظرة تليفزيونية مثل التي نشاهدها بين رؤساء الدول العظمى ،كانت الغلبة لسامي عوض ذلك الفتى القادم من الصعيد ويمتاز بوسامته وأناقته وخفة روحه المشهور بها في الجامعة وخبرتة في الحياة فدائما الطلبة والطالبات تجد عنده المشورة والأخذ برأيه في كل بواطن الأمور.
خرج مجدي حسن من الندوة ثائراً يسب ويلعن الزمن الذي نعيش فيه وسط ضحكات الطلبة وسخريتهم له .

****

كانت نظرات هند معلقة بي لم ترفع بصرها عني ،غاصت بأعماقها تسبح في بحر حبي ، وجدت من الندوة فرصة للإلتقاء بي والبقاء بجانبي ، ركزت نظري على وجهها ،تأملت تقاطيعه أخذت أتملأ منه ،أرسم صورتها جيدا لكي لأنساه ،كم من مرات حاولت أتذكره وأنا مندس تحت غطائي ، فهي معي في البيت ،على صفحات أوراقي ،بين كتبي ،تأتي صورتها مرسومة في خيالي ، تتلاشى ..تجئ مرة أخرى ،أتذكره ..أنساه ، يخطر على قلبي ..من عرف مذاق ولوعة الحب يتمنى أن يرسم أجمل صورة للمحبوب .

******

كدت أفقد صوابي بل كاد عقلي ينسلخ من رأسي ،نعم جننت ،هذه حقيقة وأنا أشاهد مقعدها خالياً ، لم أرها منذ ثلاثة أيام ،بحثت عنها في مسكنها ،لم أجدها حتى صديقاتها لم يعرفن سبب غيابها وعدم حضورها للكلية ،من أجلها احتملت سخرية صديقي أحمد وهو يقول لي بمزاحه المعتاد :

حقاً أنت مجنون هند

ويواصل مزاحه :

لو مكانك كنت اقتحمت محرابها وسألت عنها وليكن مايكون .. لكن في حالتك هذه .. أفضل الإنتحار ويكتب اسمك بحروف من نور ..

هاء..هه .. ههههه

- ياسلام ياصديقي .. وأنا أقرأ جريدة الأخبار وفي صفحة الحوادث خبر منشور .. انتحار طالب جامعي من أجل غياب محبوبته عن المحاضرات

تركت له المكان وخرجت رغم مزاحه معي إلا أنه نبهني لأمر قد غفل عني بالرغم أيضا من سخريته لي ، وجدت في كلامه نوع من الجد ..قادتني قدماي خارج أسوار الجامعة ..

- بالفعل لابد من السؤال عنها .. لكن كيف

- آه .. فكرة كانت غائبة عني ،جرتني قدماى إلى مكتب تليفون موجود بالشارع الرئيسي ..

جاءني صوتها من بعيد هزيلاً.. أنفاسها متقطعة .زادت ضربات قلبها ، إلتقطت أنفاسها ..عادت نشوتها وجمال سحره بعد سماع صوتي .

- أشكرك يا أستاذ صبري لسؤالك والإطمئنان على صحتي .

أخيراً هدأت نفسي قليلاً وأخمدت ثورتي الهائجة

انتظرت بفارغ الصبر وقت إنتهاء المحاضرة فقد عادت محبوبتي إلى الكلية ،أخذتها من يدها ،لم أهتم بغمزات وهمزات ونظرات الطلبة المحاصرة لي

جلسنا في الكافتريا الخاصة بالكلية طلبت زجاجتين من الكوكاكولا فقد ارتفعت درجة الحرارة في هذا اليوم يعادل درجة حرارتي ،أتصبب عرقاً ،هذه هي مواجهتي الأولى من نوعها وأجالس فتاة ، تحركت مشاعري وأحاسيسي نحوها ، لم أستطع مقاومتها ..

- لايمكن الحياة بدونك ياهند

تمازجت المشاعر والأحاسيس بيننا

– ولا أنا ياصبري

سحبت يدها من تحت يدي .. إلتفتت هنا وهناك .. وقالت بصوت منخفض :

أنت نسيت نحن في الكلية والأنظار ترقبنا

– لا .. لم أنس .. حبك ياهند طغى على كل شئ في حياتي .. أنساني كل ماحولي .. نسيت أهلي ، ملكتِ قلبي يا أميرتي المحبوبة .. أحببتك .. نعم أحببتك ..أقولها بعلو صوتي ،أقولها للعالم كله ..أجعلها أنشودة يشدو بها شعراء الربابة .. تتغنى بها الفتيات في الحقول وهن يجمعن القطن ..أحكيها لكل حبيب ولهان بمحبوبته .. أفقت من غفلتي وهي تقول لي:

لابد أن أمشي فوراً.

....

ماأسرع الأيام الجميلة تمر وكأنها ثواني معدودة ،تسارع البرق ، يخطر على بالي سؤال أردده ويقوله كل انسان يعيش ويمر بذكريات جميلة .

- ليه الأيام الحلوة تمر بسرعة .

3 – لعلنا نلتقي يوماً:

إنطوت السنة سريعاً وولت أيامها بذكرياتها مع هند ،وعدت إلى بيتي أزف نجاحي لوالدي ،ولم يعد لي إلا عاماً واحداً وأحصل على ليسانس الآداب قسم التاريخ الذي أعشقه جداً ، مسافات وكيلو مترات تبعدني عنها فهي تقيم في مدينة نصر.

بعيدة أنتِ ياهند ولكن قريبة مني جدا فصورتك وطيفك لم يفارق وجداني وخيالي ،في منامي ويقظتي ، في تفكيري وأحلامي أنتِ ...أنتِ

أمامي وخلفي ، موجودة في جنابات البيت على جدرانه ،أتخيلك في مشاويري ، معي في طريقي ،لن أنساكِ .

دفعني الحنين والشوق إلى زيارة شقيقتي الكبرى زينب في بيتها القابع بالجيزة ،وجدت نفسي بجوار حديقة الحيوان ،دفعني الفضول إلى الدخول ،وددت لو كانت معي هند

،أتبطأ يدها مثل كل العشاق وهم يأتون للحديقة يتبادلون الغرام ،تتشابك أيديهم ، تتلاقى عيونهم ... ولكن أين لي بهند .

مكثت فترة طويلة في منزل شقيقتي وزوجها الأستاذ زكريا وهو يعمل محاسبا في بنك القاهرة ،أداعب طفلتيهما المحبوبتين إلى قلبي ، سارة وآية ، لازلت أذكر يوم زفافهما ، يومها وقف زوجها في وجه أهله وفضل الإقتران بزينب رغما عنهم فكانوا يريدون تزويجه بإحدى قريباته وضحى بثورة طائلة في سبيل حبه والإرتباط بشقيقتي ، تمنيت في نفسي أن أقاوم من أجل هند .

أصرت شقيقتي وزوجها أن أتناول طعام الغذاء معهم

ابتسم زكريا وأردف لي قائلاً:

سمعت عن فوزك بلقب رئيس إتحاد طلاب جامعة القاهرة .. بالطبع المسؤلية ثقيلة على عاتقك

تنهد قليلاً وأكمل قائلاً:

ما أحلى أيام الجامعة ....كانت أيام

تمنيت أن أسأله :

هل كانت له مغامرات عاطفية في الجامعة

*** * * * ***

شريط ذكرياتي مع هند مر أمامي وأنا أجلس في مقعدي داخل الأتوبيس بعد ما عدت من عند شقيقتي

تذكرت أول مرة رأيتها ، حين ألتقت عيني ..بعينها

،أخر مرة قابلتها ،يوم أن ودعتها وهي عائدة إلى منزلها ..نعم أذكر ذلك اليوم وكانت نتيجة الإمتحان قد ظهرت والفرحة لم تسع عينها ، ولكن لمست فيهما ماتحدثت عيني به :

أعرف ماتقصدين ياهند .. فرحتك لاتكتمل إلا بخطوبتنا .

....

نعم ..هي . هي .هي

– لا



- تهيؤات ..تخيلات ،أضغاث أحلام

هي بشحمها ولحمها ..لمحتها تتهادى في مشيتها ..تمسك أختها الصغيرة

- أريد أن أقفز ..أكسر الحواجز والإشارات وأصل إليها ..أحدثها ..أقابلها

- تمنيت لقائك ياهند .

4 – ما أعجبها لعبة القدر

هكذا عشت الأيام الخوالي دون رؤية هند ،أربعة أشهر كاملة باقية لرؤية محبوتي الساحرة ، هي موعد أجازة آخر العام للجامعة ،فلم يتبق إلا ذكريات حبنا ،أسترجعها في منامي وأحلامي .

طرق والدي باب حجرتي ،أقبل يسألني ،ثمة برقية قد استلمها اليوم تفيد بوصول شقيقتي وزوجها من السعودية مقر عملهما هناك وعلينا أن نتوجه للمطار لاستقبالهما .

* * *

شق التاكسي طريق المطار ماراً بمدينة نصر ،ارتفعت دقات قلبي :

– اه .. لو ينحدر إلى بيت محبوبتي

تخيلت أننا ذاهبون للقاء أهلها وأقوم بخطبتها

....

إنهالت القبلات والأحضان على شقيقتي أسماء وزوجها محمد من جانب والدتي وشقيقتي

ثمة قنبلة ألقاها زوج شقيقتي رقص لها قلبي ،وهو يتحدث لوالدي :

– سوف نمكث معكم أسبوع بعدها نغادر إلى شقتي بمدينة نصر التي استأجرتها هناك

قلبي يكاد يخرج من صدري من هول المفاجأة ،فقد جاء سكن شقيقتي وزوجها في نفس العمارة التي تسكن فيها حبيبتي هند

لم يمض يوما إلا وأخلق الأسباب للذهاب لشقيقتي للإطمئنان عليها وعلى زوجها وأقابل هند تلك الحورية التي منى علي بها القدر.

تقابلنا ... أخرجت لها مافي قلبي

تجدد حبنا



شغفت بها ولعاً وهمت بها شوقاً
لم أصدق نفسي أصبحت أشاهدها كل يوم وابتسمت لي الدنيا اخترقت الحواجز والسدود ،أكلمها حيث أشاء وأخرج معها إلى أي مكان تريده ، قالت لي مرة وكنا نتمشى في أحد الشوارع الجانبية لمدينة نصر

- معقولة ياصبري أقابلك وأشوفك كل يوم

أجبتها بابتسامة عريضة :

سوف أبقي معك طول العمر ياحبيبتي ..ولن أسمح بإي قوة على الأرض تفرق بينا .

****

إنتظرتني عند باب العمارة لتحدثني عن أمر هام حدث لها وتطالبني بالهروب معها بعيدا ،لايمكن أن أتحمل مايحدث لها ،حاولت تهدأتها ،إلتقطت أنفاسها وقالت بصوت منخفض :

تقدم اليوم إبن عمي لخطبتي ووافق أبي على ذلك
دارت بي الدنيا تصورت أنني أحلم .
لملمت أشلاء ماتبقى من جسدي الهزيل ،حاولت إخماد ثورتي الهائجة الكامنة على صدري،أحاول أن أتماسك من هول ماقالته لي هند ، فبعدما ضحكت لي الدنيا وقربتنا ،تحاول أن تبعدنا ، يا لك من دنيا عجيبة وغريبة عنيدة تذكرت قول أحد العلماء في خطبة صلاة الجمعة وهو يذكرنا بغرورها ....
إذا أضحكتك يوما بكت عليك شهرا
إذا أضحكتك شهراً بكت عليك عاماً
إذا أضحكتك عاماً بكت عليك طول العمر
عجبا لك أيها القدر ،تقربني من هند ويجئ من يأخذها منك ،،يالسخرية هذا القدر المحتوم

أخذت أضحك في هيستريه ،تعجبت مني شقيقتي رقية وظنت أني مسني طرف من الجنون وهي تراني ، أضحك تارة ،وأبكي تارة أخرى

مكتوب علي أن ... أقاوم .....أقاوم حتى النهاية .

5 – قميص يوسف

حاول صديقي أحمد معي وأراد أن ينتشلني من حالة الضياع التي أعيش بها هذه الأيام ، كرر زيارته لي في البيت ،أقبل ناحيتي يوبخني ويقول لي معاتباً:

البنات على قفى من يشيل ..ألف واحدة تتمنى تراب رجلك

أومأت له برأسي وقلت له :

لكن لم أر في البنات مثل هند

بإلحاحٍ منه أخرجني من عزلتي وأقسم أمامي أنه رتب لي سهرة أنسى وأتناسى فيها همومي وحرماني لضياع محبوبتي لم أعرف كيف أطعته وخرجت معه ، فعلا خشيت على نفسي من الجنون كما قالت لي شقيقتي رقية،كان علي أن أخرج من هذا السجن الذي ألقيت بنفسي داخله.

مشيت لا أدري أين أسير ،بلا هدف ..بلا عقل .. تائه ..تفكيري مشلول من الصدمة التي كسرت ضلوع هذا الجسد الهزيل . قادني أحمد إلى شقة مترامية الأطراف تكاد تكون منعزلة عن العالم .. دق جرس الباب وقفنا برهة قصيرة ،فتحت لنا سيدة في الأربعين من عمرها ،ألقت بجسدها على صدر أحمد ، ضحكت وقالت :

فينك من زمان يا أبو حميد ...ومين معاك ؟

– صديقي وحبيبي صبري .. المهم هو خارج من تجربة حب فاشلة ويتمنى أن ينساها...

دارت حولي ، مالت علي وابتسمت قائله :

كده يا أحمد ... أنا أخليه ينسى عمره ...أنت تؤمر

غمزت بطرف عينها لأحمد ،سحبتني من يدي ،أدخلتني حجرة وتركتني وخرجت ،فجأة دخلت علي فتاة جميلة .. ممشوقة القوام ..شقراء..جميلة القد ..رقيقة ، اقتربت نحوي ، دنت وتدلت على صدري ،فكت شعرها الأصفر ،انساب على

كتفها ، خلعت ملابسها ، روادتني عن نفسي ،حاولت الإقتراب منها ، همت بي ، هممت بها ، رأيت وجه أمي ،تلقي بعتابها ، تصفعني على وجهي بيدها ..وجه هند يلومني.. يلوح لي وجه أبي .. يبعدني بكلتا يديه ، يلقي بعباءته على جسدي ، حاصرتني أياديهم ،أطبقت علي من كل ناحية ،تزيحني وتبعدني عنها ،صارعت وصارعت ،تلقفني أبي ،لف علي بعباءته ،انتشلني من بين أيديهم وهي تكاد تفتك بي ..استجمعت مابقي لي من قوتي المنهكة ،أزحتها من على صدري ،خرجت مسرعاً ترتعش أوصالي وجميع أعضاء جسدي الهزيل ،تركتها تقهقه وتضحك بسخرية ،تندب حظها العاثر الذي أوقعها مع شاب لاحول له ولاقوة ، حرمها متعة اللذة في هذه الليلة المنكوبة . تعقبني أحمد .. جرى خلفي .. ألقيت عليه اللعنات والسباب والشتائم .. لعنت صداقته قلت له والدم يجري في عروقي : أنت من طريق وأنا من طريق آخر ..

6 – رُبَ أخٍ لكَ لم تَلده أمك

عدت إلى منزلي ،جسدي يرتعش ..جوارحي ترتجف .. ارتفعت درجة حرارتي ،استسلمت للمرض ،أقعدني الفراش ،ازدادت حالتي سوءاً كلما تذكرت ماحدث لي :

– هل أقبل على نفسي أكون زانياً ؟

ماهذا الجرم الذي ارتكبته في حقي وحق أبي ؟

آه ... أبي .. الذي يرتدي ثوب التقوى والورع .. نعم دنثت ثوبه بفعلتي هذه ،عار علي العيش بين والدتي وشقيقاتي في بيت محرابه الإيمان .

انسالت دموع والدتي لسوء حالتي ..

صرخت في وجه أبي :

أرجوك احضر له الطبيب ..إفعل أي شئ من أجل إبنك الوحيد ... لاتتركه هكذا .

لم يتركني والدي لحظة دائما مايضع يده فوق رأسي يتلو آيات القرآن الكريم .. بدأت نفسي تهدأ تدريجياً، تماثلت للشفاء وعادت لها رشدها وصوابها.

....

لم يكن في استطاعتي الصفح عن أحمد ،تخليت عن صداقته بعد صنيعته الشنعاء لي رغم ماقالته لي والدتي أنه يداوم على المجئ كل يوم والسؤال على صحتي وكان في إمكانه عمل أي شيء من أجلي ...

قدم أعذاره .. لم أتقبلها منه

قلت له بكل عنف :

ابتعد عن طريقي . . لساني لايخاطب لسانك

اقترب مني يقبل رأسي ،أزحته بعيدا عني ،لم تهدأ ثورتي ،،قلتها له ثانية :

لامكان للصداقة بيننا من اليوم.

....

هجرني وفارقني ،لم أعد أشاهده حتى بعد رجوعنا مرة أخرى للجامعة ونحن وصلنا للسنة النهائية ،بالنسبة لي كان أول يوم من أصعب الأيام التي مرت بحياتي ،فكم كنت مشتاق لرؤية هند ،علمت أنها تزوجت ولاتعود ثانية .. قلت في نفسي:

هكذا تمت الزيجة أسرع ماكنت أتصور ..يالقسوة الحياة بدونها ..كيف لي أن أحلم وهي ليست معي؟

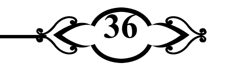
مشيت وسرت أطوف في كل طريق وقفنا ،تكلمنا، تلامسنا ،تذكرنا حلمنا الجميل ، وجهها أمامي بإبتسامته الساحرة ،ذكريات حبنا أمامي أينما سرت

لم أتحمل الصدمة ،أغمي علي وقعت على الأرض ...

أفقت على صوت أحمد وهو يجلس بجواري على السرير وأنا أتمدد فيه كأني جثة هامدة.

رأيته يبتسم لي قائلاً:

ألف سلامة على أخويا صبري



حاولت أتذكر ماحدث لي وكيف أتى بي إلى حجرتي في سكن الجامعة ..نعم آخر مرة كنت هناك

آه ... تذكرت عند سور الجامعة الخلفي

أصوات زملائي تضج بالمكان .. تسأل عن صحتي

سمعت أحدهم يقول :

لولا أحمد لكان في خبركان

أخيراً علمت كل شيء عندما وقعت على الأرض ورحت في غيبوبة تامة حملني أحمد على كتفه إلى حجرتي وأحضر لي الطبيب ،نظرت إليه وانهمرت الدموع من عيني ،اقترب مني يهدأ من روعتي ، ارتمى في أحضاني ،وأعتذرت له على مابدر مني تجاهه ولسان حالي يقول له :

أنت أعز صديق بل أكثر من ذلك ...أنت أخي .. نعم أخي .

7 – القلب ينبض مرة أخرى

كان علي أن أبذل مجهوداً جباراً للحفلة التي تقيمها الجامعة بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد بصفتي رئيس إتحاد الطلاب ،بالطبع أحمد لم يتقاعس ويتهاون بحركته الدائبة في تنظيم فقرات الحفل الذي بدأ بتلاوة القرآن الكريم وإلقاء بعض الأشعار وفقرات غنائية لطلبة وطالبات الجامعة ، ووقف سامي عوض يلقي كلمته المعتادة عن تحرير المرأة وكأنه يستهدف بها مجدي الذي انسحب على الفور تاركاً الحفلة .

....

هذا الوجه الذي آراه في الحفلة ولم تبعد عيناها عني ،نعم رأيته .. لكن أين ... أين

آه.. تذكرت ..انها من البدرشين بلدي

سألتها :

ما أسمك ؟

أجابت بخجل شديد :

اسمي .. منى سيد محمود..

واصلت كلامها لي:

أنا أعرفك ووالدك يحضر إلينا وهو يعرف والدي وكثيراً مايلتقيا في دارنا

لم أعلق على شئ من أثر الدهشة وكلامها عن والدي .

مكثنا وقت طويل لم ندر كم من الوقت مضى من ساعات ونحن نتحدث عن أسرتنا وعرفت منها أنها سوف تنوي الإلتحاق أيضا بقسم التاريخ الذي تعشقه مثلي أنا.

سألت نفسي :

هل تحل منى مكان هند ؟ ، ولكن أين هي الآن ؟، انها في أحضان رجل آخر .. نسيت أيام الهوى ...بل نسيت مجرد

اسمها ..بنيت حياتي على هذا الوضع ،لكن جاءت منى تحرك بركان القلب الراكد.

أدرت مؤشر الراديو وأنا مستلقي على سريري ،ووجه منى أمامي ،ترامى إلى سمعي أغنية شادية ... القلب يحب مرة مايحبش مرتين

قلت في نفسي :

بل يحب مائة مرة

نعم .. منى استحوذت على قلبي ،تعلقت وهامت بي شوقاً، لن أجعلها تفلت من قيودي ،عشقت من أجلها أغاني أم كلثوم عن الحب وسيرة الحب .

عرفت في طبعها العناد والإصرار على رأيها ولو كان خطأً ، حاولت أغير مابها ..

أذهلني ردها :

لا أقبل لأي أحد التدخل في أموري الشخصية

قلت لها معاتباً:



ولو كنت أنا

أجابت بكبرياء:

ولو كنت أنت

تركتها واقفة مكانها ..وأذل وأكسر نفسها المتعالية ،أقسمت فيما بيني وبين نفسي أن أجعلها تخضع لأوامري .

مرت الأيام كلما أرادت الاقتراب مني لتحدثني ،ابتعد عنها ،لم ألتفت إليها .. تنظر بعينها نحوي ،لم أبادلها أو حتى ألقي بعيني ناحيتها ، خطر ببالي قول أحمد وأنا أقص عليه ماحدث :

- التقل صنعة

وعلى رأي كوكب الشرق :

كتر الخصام يولد الشوق

جاءتني منكسرة الخاطر تطلب الصفح والمغفرة لما بدر منها

- أقولها لك يا أعلى صوتي :

أحبك ...أحبك ... أحبك من كل قلبي ...أنت حبي الأول والأخير.

طأطأت برأسها إلى الأرض :

اغفر لي عنادي ...أريدك لي وحدي

أحببتك ياصغيرتي .. نعم جئتِ في الوقت المناسب ، كان قلبي محطم ، جددتِ الحب فيه ، جعلتيه يصحو مرة أخرى ويتولد الحب من جديد فيه ثانية .

قطع صوتها الرقيق حبال التفكير ..

- كل مايهمني أن آراك .. لاتغيب عني

- وأنتِ معي بتوحشيني.

8 – صِدام غير متوقع

كان لابد لي الإهتمام بفرقة التمثيل بالجامعة فقد أخبرتني الإدارة بتجهيزها للدخول في المسابقة التي تقيمها الوزارة بالإشتراك مع قصر الثقافة ،استطعت خلال فترة وجيزة بمساعدة أحمد أن ننهي بروفات المسرحية التي نشارك بها في المسابقة ..وقف لنا بالمرصاد ذلك الأبله والمتزمت مجدي ،ظل ينادي ويهتف في أركان الجامعة ..

التمثيل حرام .. كل ماتقدموه حرام .. هل وصل بنا الحال أن يكون في محراب الجامعة فرق تمثيل

من غير أن أبالي ذهبت إليه طالبته بالكف عن الجهل الأزلي الذي يعيش فيه .

قابلني بعصبية زائدة:

– أنت طالب ملحد ويجب استئصالك من دفاتر الجامعة

ثرت في وجهه:

وأنت انسان رجعي ومتخلف ،، الاسلام برئ منك وعلينا شطبك من مجتمعنا

أجابني بعصبيته المعروفة :

الحياة معكم حرام

- ونحن لانقبل الحياة معك أيها الزنديق

تجمعت الطلبة حولنا ،لمحت وجه منى بينهم تكاد تكون متحفزة للدفاع عني ،نظراتها جعلتني أستمد منها قوة غريبة زادتني حماس ،لم أدر بيدي وهي تهوي على وجه ذلك الأبلة أريد صفعه ،تلقاها أحمد ،أمسك بيدي ،أزاحني بعيداً عنه ، همس في أذني

وهو يحاول ابعادي :

عايز تروح في داهية .. انت نسيت نفسك أنك في الجامعة

أقبل حرس الجامعة حاولوا فض النزاع بيننا ،ساقونا إلى مكتب عميد الجامعة ،صمم على تحويلنا لمجلس تأديب .

هدأ أحمد من ثورتي :

ليس لك ذنب هو من جرك إلى هذا .. احكي لهم كل شيء ...

****

مكثت أيام طوال في انتظار مجلس التأديب وأنا في قمة القلق ، هذه أول مرة أتعرض لمثل هذه الحالة، رب ضارة نافعة ،أثبتت لي الأيام مدى حب وتعلق منى لي ووقوفها بجانبي ،تخفف عني وطأة ما أنا فيه ،لكن حدث مالم أتوقعه ، جاءني أحمد مسرعاً ..يزف لي خبر القبض على مجدي حسن ، أذهلتني المفاجأة ، وشلت تفكيري وعقلي وأنا أستمع إلى أحمد :

وجدوا عنده منشورات لقلب نظام الحكم .

9 – لقاء مع الماضي

نحن نعرفك ، أنت مثال الطالب الجاد والذي فعلته لم يكن لك دخل فيه ، ونعلم تمام العلم أن الطالب مجدي هو الذي جرك لهذا بتفكيره المزعوم والخاطئ وقد نال جزاءه . ولذلك نرفض تحويلك لمجلس تأديب .. هذا ماقاله لي عميد الجامعة وأثلجت صدري كلماته لي .

نعم حزنت بعد القبض عليه ،هو الآن بين القضبان داخل السجن يواجه مصيره المجهول وضياع مستقبله في ظل تفكيره الزائف وظن أنه سيغير العالم حوله ...

سألت نفسي مراراً:

كيف ينساق مع فئة تريد الخراب للدولة وتدميرها بأفكارها الملوثة والمأجورة من بلد ما ،ويندسون خلف عباءة الدين وهو برئ منهم .

طلبت لنفسي أجازة أريد الراحة لعقلي وتفكيري ، ودعت منى وذهبت إلى منزلي ،أنعم بحياتي وسط أهلي ،كعادتها والدتي .. استقبلتني بأطباق اللحم الشهية من يدها ، وواصلت مزاحي المعتاد مع شقيقتي رقية... وفاجأتها بقولي:

تعرفي .. منى سيد محمود

أجابت بدهشة:

نعم أعرفها .. منزلها يقع بالشارع الخلفي لمنزلنا

كان معظم كلامي مع شقيقتي عن منى ..وبدا على وجهها غرابة شديدة وابتسمت لي بسخرية:

يا ابني إيه حكايتك بالضبط بينك وبينها إيه .. صدعت رأسي بسؤالك عنها

حاولت قطع حديثي عن منى وأخفي علاقتنا

- لا ..هي معنا في الجامعة وعندما رأيتها خيل لي أني أعرفها ..وهي من عرفتني بنفسها

- آه ... أحسب فيه حاجة تاني.

انتهزت فرصة وجودي في البلد فعقدت العزم لزيارة شقيقتي أسماء وزوجها محمد ، فمنذ فترة طويلة لم أرها ، توجهت إلى مدينة نصر مقر إقامتهم ،ذكرياتي مع هند جالت بخاطري ما إن وطأت قدمي على المدينة وأنا أقول في نفسي

– يا أرض المدينة لي فيكِ حبيب ، وأي حبيب

أي خاطر هذا يذكرني بها ، نسيت ما كان بيننا ،اقتنعت في داخلي كل ماتغنى بالحب صحيح مائة في المائة ،خطر على قلبي أغنية عبد الحليم حافظ ،أدندن بها في طريقي.. لو مريت بطريق كان لينا ذكرى فيه حاول تفتكرني ،وجدت نفسي أغني بصوت عالٍ ..تفيد بإيه ياندم وتعمل إيه .. طالت ليالي الألم ....

فترة طويلة قضيتها مع شقيقتي وزوجها ، كنت كلما هممت بالإنصراف يصران على بقائي مدة أخرى ،وأخيراً ودعتهما عائداً إلى حيث أتيت .

زادت دقات قلبي تسابق خطواتي ، وأنا أراها صاعدة درجات سلم العمارة التي كنت بها ،نعم هند أمامي وجها لوجه ، مفاجأة أذهلتني ،قرأت تعبيرات وجهها كأنها تقول لي :

ليس لي ذنب فيما حدث ..أهلي أجبروني على هذه الزيجة ..

قطعت حبل الصمت ..مددت يدي لأصافحها

قلت لها:

أتمنى أن تكونِ سعيدة في زواجك

أجابت :

الحمد لله ...ربنا يرزقك ببنت الحلال

سألتها:

هل تركت الجامعة بعد زواجك

أطرقت رأسها ناحية الأرض

أحسست أن هناك شئ ما

ثم أجابت :

لا.. سوف أدخل الإمتحان هذا العام بعد إلحاح مني ووافق زوجي.

لم يطل وقوفنا ،ودعتها وسط نظراتها الحائرة

أريد لقاء منى الآن .. لن أضيع الفرصة تفلت من يدي .. أنتِ حبي ومليكتي الصغيرة.. لن أدعها تفلت منى مني .. سوف أعمل المستحيل من أجلها.

10 – في مدينة الألف باب

بحثت عن منى في كل مكان ،لابد من لقائها اليوم ، نعم اليوم بالذات ... أسئلة كثيرة دارت في رأسي :

– لماذا الآن بالذات ؟

أجبت بداخلي :

ربماأحاول نسيان ماجرى لي بالأمس مع هند بعد لقائها المفاجئ .. جريت نحوها ،تمنيت أن أضمها لصدري ، أحتويها بين ذراعي

نظرت إليها طويلاً .. قطعت حبال الصمت ،تأوهت وقالت مستفسرة:

من يومين لا آراك .. أين كنت ؟

– كنت في البلد

– يومين مروا كأنهم سنتين

أدركت أنها تريد أن تراني كل ثانية ،لاتطيق فراقي ،أحبتني بجنون ،وأنا أحببتها من كل قلبي.

****

مرت السنة سريعاً، طوتها الأيام بسرعة البرق ،استطعت الحصول على ليسانس الآداب وتركت منى باقية في الجامعة.

حضر أحمد صديقي وأخي الذي لا نفترق مبتسماً كعادته وكأنه يزف لي خبراً:

سوف نلبي دعوة صديقنا سامي عوض لزيارة الأقصر

قلت:

فرصة يا أحمد لتغيير الجو بعد أربعة سنوات الجامعة

....

كان صديقنا سامي في استقبالنا على محطة الأقصر ، اصطحبنا على الفور إلى داره ،لقينا حفاوة كبيرة من جانب أسرته وكرم زائد.

بالنسبة لي هذه أول زيارة لي لمدينة الأقصر وأيضاً صديقي أحمد ، لم أكن أتصور أنها جميلة بهذا الشكل،أحسست من داخلي أنها قطعة من القاهرة أو مشابه لها،نظم لنا سامي برنامج جميل وقال لنا مبتسماً:

سوف نبدأ بزيارة الكرنك

وقف يشرح لنا ماصنعه الأجداد من حضارة يقف لها العالم مذهولاً ويرفع القبعة احتراما وإجلالاً لهم،لم يفوتنا زيارة جميع آثار الأقصر التي تعد ثلث آثار العالم ،والسياح يقفون مبهورين ومندهشين وصديقي أحمد يداعبهم ويشرح لهم ،ضحكت وقلت:

تنفع مرشد سياحي .

أحمد تلك النعمة التي أهدتها لي السماء ،أرى الإبتسامة تعلو شفتيه ونحن جالسين على المركب وهو يسير بنا وسط النيل .. هذا الشريان الممتد بطول البلاد ،وشاهد على أجمل اسطورة قدمها لنا القدماء المصريين "اوزيس وأوزوريس"، وهي تلملم أشلاء جسد زوجها وتعيده للحياة مرة أخرى ،من أرض أجدادي ،اتخذت قراراً كان يكمن في داخلي ،لابد من تنفيذه عند عودتي إلى داري.

11 – أسرع قرار في حياتي

خمسة أيام لم أشاهد منى التي قضيتها في مدينة الألف باب ،مازالت رحلتي إليها عالقة في ذهني ،والقرار الذي يكمن بداخلي يحتاج للتنفيذ ،ويحتاج أيضا إلى تأييد وتدعيم ،ووالدتي هي من أبدأ عندها،

ذهبت إليها ..ملت على يدها أقبلها ..

قلت لها مداعباً :

نفسك تشوفي ابنك إيه يا أمي

بقلبها الحنون فهمت ما أقصده أجابت :

نفسي أشوف لك أولاد

عقدت العزم لتبليغها قراري الذي اتخذته

– إيه رأيك يا أمي في منى بنت عمي سيد

– بنت كلها أدب وأخلاق وجمال



- عليك بوالدي تخبريه عن الموضوع.
طار قلبي فرحاً عندما علمت أن والدي وافق وسيذهب ليتكلم مع والدها .

****

لم أكن أتوقع أن يتم الموضوع با أسرع ماكنت أتصور ويحدد ميعاد للخطوبة.
فرحة أحمد تعادل فرحتي تماماً ،أجده بجانبي ،نعم هو بالنسبة لي أخي، قفشاته لي لاتنتهي ،ولايسد لها غبار،أضحك كثيراً كلما أتذكرها ،لا أنسى تعبيرات وجهه عندما أطل بها من نافذة حجرتي وهو يشدو:
منى ..يا منى ..أحبك يامنى
أخيراً أصبحت ملك لي وحدي ،لمست في وجهها فرحة ونشوة عارمة وسعيدة بالخطوبة.

12 - خيوط الموت تنسج أكفانـها

قرار خطبتي على منى حرك وألهب مشاعر أحمد ،جعله يفكر في الإقدام على هذه الخطوة ،حضر عندي وفاتحني في الأمر،كنت أتوق شوقاً لسماع من تكون شريكة حياته ،كنت أعلم أنه ليست له أي ميول أو مغامرات عاطفية في الجامعة أو في البلد ،ما أدهشني أنه يحب بنت خالته وتواعدا على الزواج ،نعم أكد لي هذا ..وداعبني بقوله وابتسامته التي لاتفارق شفتيه:

أنا لست مثلك ياصديقي .. وأعذب في بنات الناس ..وعلى أيه حال ..أنت من جعلني أقدم على الزواج

- ومتى تنوي ذلك ؟

- الأسبوع القادم سيكون الزفاف ..أنا جاهز من كل شئ

- أنت ترفع شعار... دعونا نعمل في صمت

استطاع أحمد أن ينه ترتيبات زفافه في أسرع وقت ممكن ،حدثني تليفونياً سيذهب إلى مدينة السويس لإحضار شقيقته من هناك ،وأكون في انتظاره بمنزله بعد صلاة العشاء لإنهاء آخر الترتيبات

قلت في نفسي:

أمامي وقت طويل .. أذهب أولاً لزيارة منى ..فرصة للجلوس مع أهلها والتحدث معهم .

.....

استقبلتني والدتها بترحاب شديد وإن لامتني بعض الشئ على انقطاعي عنهم مدة طويلة ، لمحت نظرات منى تعاتبني وهي جالسة أمامي ،وكأنها تقول لي :

– لك مدة طويلة ولا أحد يراك

قلت ..وأنا أجيب والدتها:

هذه الأيام مشغول بزفاف صديقي أحمد

ابتسمت والتفتت إلى بنتها:

عقبالك يابنتي

كان علي مغادرة منزل منى واللحاق بميعاد أحمد ،اقتربت من المنزل ،رأيت إلتفاف عدد كثير من الجيران حوله،ثمة حركة غريبة أراها، لمحت على وجوههم علامات حزن وأسى ،يضربون كفاً على كف،ارتفعت دقات قلبي ،تثاقلت قدماي كلما دنوت ،

سألت :

أجابوني ..

أحمد عمل حادثة وهو في طريقة إلى السويس ومات

أذهلتني المفاجأة، أخرست لساني ، ربما أكون في حلم ،كابوس مزعج ،لم أتصوروأتخيل أني سمعت هذا الكلام الذي قالوه لي ،دارت بي الأرض ،ارتميت ، صرخت بأعلى صوتي : أحمد مات

صديقي ..لا ..لا .. أخي وتوأم روحي ،آه ..دنيا عجيبة .. يكلمني في الصباح لأقابله .. حضرت وهو لايحضر، ولن

يحضر أبداً..قدر..وقدري يموت أخي وصديقي ،سأبكيك يا أحمد طيلة عمري .

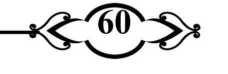
صراخ وعويل ،نواح وشجن على فراقك ،ولن يعود ببكائي عليه ، انه الموت الذي لا يفرق بين صغير ولاكبير ،مريض ولا صحيح ،عجوز ولاشباب.

أحمد ينسج ثوب الفرح والموت ينسج له كفنه،عجباً لك يازمن ،في لمح البصر يخطف الموت مني أعز أصدقائي وأقربهم لقلبي .

إنهمرت الدموع من عيني ،رحت في بكاء شديد ،لم أتمالك نفسي وأنا أشاهد المشهد الجنائزي وأحمد محمول داخل الصندوق ،رأيت دموع والديه واخوته وهم يبكونه ويودعونه إلى مثواة الأخير.

البدرشين تبكيك وتبكي فيك خلقك وطيبتك وروحك المرحة ،لم أعد بعد اليوم أقول أحمد ولا أراه ولن أقابله ،

كيف ، وأين ؟ ... لم أعد .. لم أعد.



والدي بإيمانه القوي يقبل ناحيتي يلقي بقوله لي:

علينا أن نقبل ارادة الله ونرضى بقضاء الله وقدره ياولدي

يقول الإمام الشافعي :

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً ** وقدنسجت أكفانه وهو لايدري

وكم من عروس زينوها لزوجها ** وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ** وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علة ** وكم من سقيم عاش حيناًمن الدهر

، يتمتم بالقرآن "إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ "

....

أحمد صديقي ،كان بالنسبة لي أخ وكما قال قائل:

رب أخ لك لم تلده أمك .

صديقاً في زمن توارت فيه الصداقة ،صداقتي معه كانت خالية من المصالح ،لا ولن أنساك ،حديثك لايزال يحتوي سمعي،اسمك محفور في صدري بكلمات من نور، ضحكاتك مازالت تهز أرجاء قلبي ،ذكرياتك معي شريط يمر

أمامي،دعني ياصديقي ..أتضرع لله بالمغفرة والرحمة ،أطلبها لك وأنت راقد في قبرك ،في حياتك البرزخية،روحك الطاهرة تهب علي ،وأنا أتقلب في مضجعي ،ترفرف حولي،تناديني ،تسأل عن حالي في دنياي ،لا أستطيع اللحاق بها،أقابلها ولكن متى يكون اللقاء معك ،سوف يأتي مهما طال أو بعد ،متى..أين ..كيف ..؟ عندما يحين لقائي مع ربي.

13 – ويبقى ذكرى

لم أتخيل أن أحمد غاب عني ،أتوهم أشياء وأشياء ..سوف يدخل علي وأكلمه ،كما كنا نتكلم من قبل، لابد أنه سافر وسيحضر، سوف يحضربالتأكيد.

أضحك في هيستيرية مجنونة:

انه الآن في العالم الآخر

احتواني الحزن والمرض على فراق أحمد ،أغلقت حجرتي ،لا أطيق الكلام مع أحد ،امتنعت عن الطعام ،النوم لايقترب من جفوني ،مجرد التفكير في منى انقطع عني ، نسيتها تماماً وسط أحزاني وآلامي على موت صديقي .

خشيت علي والدتي أن يتسرب المرض إلى جسدي الهزيل ،كلامها تكرر أكثر من مرة لي ،تطالبني بالخروج من حجرتي ،ولافائدة من الحزن الذي أعيشه ...

– يا ابني عمر الحزن والبكاء مايرجع شئ

حدثت والدي وشقيقاتي في أمري ،يطيب والدي خاطرها بكلامه الإيماني :

– اتركيه ..ابنك معذور ..أحمد كان بالنسبه له أكثر من أخ

ترد عليه بأسى :

المرحوم أحمد أثر فينا كلنا

أضحك في سخرية بداخلي:

أحمد من أهل الرحمة ...عجيب أمرك يازمن.

.....

ذكرياته معي مرت أمامي، لم أنس يوم أن طلب مني ترشيح نفسي رئيس اتحاد الطلاب، حركته الدائبة في الجامعة لا أنساها ..يوم اصطحبني للشقة المزعومة ،لا أنسى تجربة حبي الفاشلة مع هند ،وافترقت عنه ومكثت مدة لاأكلمه وطيبة قلبه جعلتني أتصالح معه، هل أنسى رحلتنا إلى الأقصر،لن أنساك يا أحمد مهما طال بي العمر.

أحدق في ألبوم الصور التي يوجد بجواري، لكن أحمد الآن تلاشى من الوجود ،لم يعد له وجوداً معنا ،أزلت دمعة ذرفت من عيني ووقعت على صورته

آه ..وأواه ..أين أنت الآن ،أي شئ تفعل وأنت ترقد في قبرك ،أحمد ياصديق عمري ، يا توأم روحي ،كيف أعيش بدون أن تكون معي ،لكن ذكراك هي التي تبقى.

14- الزهور لاتموت

لاتزال دموع عيني لاتجف ، وقلبي يعتصر حزناً ، وصوت القرآن الكريم لاينقطع في حجرتي على فراق توأم روحي أحمد ، أربعون يوماً مرت من تلك الفاجعة ،وأنا في حالة ذهول تام ،لا أصدق أنه مات ...

- انتظرني بعد صلاة العشاء في منزلي

أخر كلماته التي قالها لي ..محفورة بذهني

ذهبت لنتقابل كما تواعدنا ..لم نلتق ..أو أتحدث إليه ،حضر ممداً في صندوق محمول على الأعناق ،لم يكن في استطاعتي إلقاء النظرة الأخيرة عليه ،يومها كنت في حالة ذهول وليس بإمكاني أن أستوعب ماحدث .

حاول والدي اخراجي من عزلتي وذهولي

– الذي تفعله عدم تسليم لقضاء الله وقدره..صديقك ينتظر منك الرحمة على روحه وقراءة الفاتحة .. هي التي تنفعه الآن..

كلمات والدي لي كانت لها تأثيرها البالغ في نفسي

ربت على كتفي :

زيارتك لأهله يفرح بها في قبره

....

تجددت أحزاني مرة أخرى على صديقي أحمد ،فقد حضر صديقنا سامي عوض من الأقصر،لم يتمالك أعصابه ،أجهش في البكاء أمامي ،خرجت كلماته متقطعة ..

-- بالصدفة علمت ..بي..م.و.ت ،بموت أحمد ،كنت أحادث زميل لنا وسألته عنك وعن أحمد .. سكت برهه ..وقال لي بصوت مبحوح :

أحمد تعيش أنت

لم أستطع تكملة المكالمة ..سقطت السماعة من يدي

ولابد لي من الحضور إلى البدرشين لأقدم واجب العزاء ..

- كيف حدث هذا ياصبري؟

- هل كان مريض ؟

- لماذا لم تخبرني ..على الأقل كنت رأيته قبل موته

انتابتني حالة من الضحك والبكاء معا ،إلتفت إلى سامي ،لم أستطع الرد على أسئلته التي أمطرني بها عن موت أحمد ،هو الآخر غير مصدق لهذه الفاجعة التي ألمت بنا جميعاً

أومأت برأسي إليه:

أحمد مات قبل زفافه بثلاثه أيام ..كان في طريقه إلى السويس وقبل أن يصل بحوالي خمسه كيلو اصطدمت سيارة نقل بسيارته ومات في الحال ،هل تصدق هو الوحيد الذي لقى حتفه ،والباقون اصاباتهم خفيفة .

....

على مضض خرجت أخيراً من عزلتي التي عشت فيها منذ موت أعز أصدقائي ،لم أجد حيلة في الخروج مع سامي

والذهاب معه لتقديم واجب العزاء إلى أسرة أحمد ،هذه أول مرة أذهب إلى منزله ،لم يكن هناك ،انه الآن في العالم الآخر رمقتني سامي قائلاً:

أعلم ياصبري الزيارة ثقيلة على قلبك

أجبته بنظرة يغلبها الحزن:

الغاية تبرر الوسيلة

صورة الفوتوغرافية تملأ جدران الحوائط ،أخذت أدقق النظر إليها ،كعادته كانت ابتسامته لاتفارق شفتيه ،حاولت اخفاء دمعة ذرفت من عيني وأنا أرى والده يقبل ناحيتنا ،وهو يخفي حزنه وهمه أمامنا

قلت في نفسي:

الله يكون في عونك

تذكرت كلمات والدتي ..مهما كان ضناه وفلذه كبده

ربما جاءت الزيارة في ميعادها ،خففت عن والد أحمد بعض الشيء عنه ،ويطلب ويتوسل إلينا

- طلبي الوحيد لاتنسوا صديقكم ولاتنقطعوا عن زيارتي ..عندما أراكم كأني رأيته ..صدقوني أحمد بيننا ..هو معنا الآن .. ذكراه باقية

- انه لم يمت ..نعم لم يمت .

15- ربما تتبدل الأحزان

عدت إلى منزلي وكنت ودعت صديقي سامي الذي لم يفته تقديم واجب العزاء لأهل وأسرة أحمد

هل أستسلم للأحزان ثانية ،إلى أين تأخذني الأقدار،لابد لي أخرج من حالة الحداد الذي فرضته على نفسي ،حتى شقيقتي رقية لم تعد تواصل هوايتها معي ومزاحها لي ،وأعلنت تضامنها ومواساتها في أعز أصدقائي ،فكانت تعلم جيدا مابيننا ،حزنها يعادل حزني تماماً ،وارتدت ملابس الحداد السوداء ،وطالبتها بعدم ارتداءالسواد مرة ثانية

- الحزن لايكون في ارتداء السواد ..الحزن في القلب

بلا تردد أجابت:

فراق صديقك ترك ألماً كثيراً وجرحاً عميقاً في صدورنا ..كان دائما مايمزح معي ومع والدتي عندما يحضر إليك هنا ..لكنه الموت الذي لايفرق بين صغير ولا كبير.

****

أخيراً تذكرت منى ، لكني لم أنساها ،قدرها وقدري غفلت عنها الأيام الماضية ،ذهبت إلى دارها ،هذه أول مرة أختلي بها ،خرجت كلماتي أحاول أن أخفي بها آلامي وحزني :

- اغفري لي عدم سؤالي عنك
- ألتمس لك كل العذر ..رغم معرفتي القليلة بأحمد لكنه ترك أثراً بالغاً في قلبي

خمنت مابداخلها ماأريد أن أقوله لها لمحت ذلك في عيني :

تريد قول شئ لي

شجعني كلامها:

ما رأيك في نزهه قصيرة لحديقة الحيوان

هزت رأسها وابتسمت قائلة:

أجمل فكرة سمعتها منك

خرجنا معا ،هذه المرة الأولى التي أخرج معها ،تجولنا بالحديقة ،جلسنا نتبادل عبارات العشق والغرام ،جاءت الرحلة في وقتها ،بعد أن كادت الأحزان تفترسني وتمزق قلبي، كدت أنسى منى ،وكادت الأحلام تتبدد وتتلاشى ،بكل ماأوتيت من قوة ،انهمرت العواطف الجياشة لمليكتي الصغيرة وقلبي المتلهف والمتعطش بحبها ،تعانقت روحانا ،تلاقت نظراتنا ،تشابكت أيدينا ،تبدلت أحزاننا ،تراقصت فرحتنا ،رق كل منا إلى الأخر،

قلت لها:

أحبك .. نعم أحبك يامنى

أجابت:

وأنا أحبك ... حياتي أنت ياصبري

قلت:

لاحيلة لي في البعد عنك

قالت ضاحكة:

أنت معي في البيت في أحلامي تكون معي

****

حددنا موعد الزفاف ،كنت عملت على استعجاله ،في هذا اليوم تمنيت أن يكون معي أحمد يشرف على ترتيبات الفرح بنفسه ،يزين السيارة، يعلق الزينة ،يساعدني في ارتداء بدلة الفرح ..أراه الآن أمامي يوزع أكواب الشربات على كل المعازيم ،يرقص ويغني ..

بجواري منى ،أراها مسرورة ،في أوج فرحتها ،شردت برهة ،انتابتني حالة حزن وأسى ،

تراجعت قليلا وقلت في نفسي :

هذا اليوم يوم فرحي ولابد لي أن أدع الأحزان جانبا ،حاولت إظهار ابتسامة زائفة وأنا ألتفت إلى منى ،أدركت مايكمن في داخلي من أحزان تسربت إلى أحشائي ،ربتت على كتفي ،تظاهرت بالفرحة أمامها ،أراها في قمة فرحتها وسرورها

،وتوجت قصتنا بزفافنا ؛وكنت احترقت بها شوقاً؛ وشغفت بها حباً.

******* تمت *******

السيرة الذاتية للأديب :



الأسم/ يحيي أحمد محمود

أسم الشهرة /يحيي أبوعرندس

من مواليد / قرية العويضات /مركز قفط / محافظة قنا
رئيس نادي أدب أمل دنقل بقفط
رئيس مجلس ادارة جمعية رواد ثقافة أمل دنقل بقفط
عضو نادي القصة بقنا
طبعت مجموعة قصصية قصيرة علي نفقتي الخاصة عام 2000م
طبع لي كتاب قصص عربية قصيرة جدا مع كتاب عرب ومصريين وطبع أيضا قصص عربية بلا حدود مع نخبة من مبدعي الوطن العربي .
طبعت لي مجموعة قصصية بعنوان أطلال ديار قديمة بدار حسناء
طبعت لي مجموعة قصصية قصيرة جدا بعنوان (الكنز) بدار النيل والفرات
كتاب خواطر في زمن الثورة قيد النشر
نشر لي في صحف ومجلات مصرية وعربية قومية وإقليمية

شاركت في صالونات ودوريات بالقاهرة حصلت على شهادات تقدير في القصة القصيرة بأسيوط وأسوان والاسكندرية والقاهرة والشرقية .

حائز على لقب أديب النيل والفرات لفوزه بالمركز الأول م فى مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات – الدورة الرابعة إبريل 2019 – فرع الرواية

محتوى الكتاب